

الصراع النبطي الروماني وتأثيراته السياسية والحضارية

د/ سيره بنت سعيد بن محمد القحطاني

أستاذ تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم المشارك

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

تقديم:-

ما لا شك فيه أن كثيراً من الكتابات قد تطرقت لعرب الأناباط⁽¹⁾ وحضارتهم ، وآثارهم ، وأشارت تلك الكتابات ، والدراسات إلى أوجه تلك الحضارة العربية العريقة ، في شمال شبه الجزيرة العربية ، وبالرغم من الدراسات والبحوث الكثيرة ، المتعلقة بالحضارة النبطية وبتاريخ الأناباط والتي تدور حول نتائج التنقيبات الأثرية ، في الواقع النبطية المختلفة وخاصة العاصمة البتراء ، إلا أن هذه الدراسات ، لم تعن بشكل كبير بالعلاقات الخارجية لعرب الأناباط ، والتي نستطيع من خلالها معرفة بعض ملامح السياسة الخارجية للأناباط.

و من الواضح أن علاقات عرب الأناباط بغيرهم من الشعوب لم تكن كلها سلمية، بل كانت في أغلبها ذات طابع عدائي، فقد حاض عرب الأناباط عدة حروب لتوسيع نفوذهم و سلطانهم في الشرق ، منها الاشتباك الذي وقع بينهم وبين الميرو狄ين في فلسطين في عهد الملك النبطي عبادة الأول سنة 90 ق.م، واذى انتهى بانتصار الأناباط ، وتمكنوا من الاستيلاء على جنوب شرقي سوريا بما فيها حوران و جبل الدروز و قد تغلب الحارث الثالث في حملة قام بها على فلسطين فتمكن من محاصرة القدس و احتلال دمشق .

وإذا ما قمنا بتحليل علاقة الأناباط بالقوى السياسية التي كانت تعاصرها ، نجد أنها قد دخلت في صراعات سياسية وعسكرية معها، منها اتجاه الأناباط إلى الدخول في صراعات عسكرية ، وتجارية مع البطالمية ، وتدحرجت العلاقات بين الأناباط والبطالمية عندما قام الملك البطلمي بطليموس الثاني (فيلادلفوس 284-246ق.م)⁽²⁾، بتحويل طريق التجارة من الطريق البري الذي يمر بأرض الأناباط ، إلى الطريق البحري عبر البحر الأحمر ، واحتكار التجارة فيه⁽³⁾. وساعت العلاقات بين الطرفين بعد وقوف الأناباط إلى جانب السلوقيين في صراعهم مع البطالمية ، لكن لم تسير الأمور على ما يرام، بل دب الخلاف بينهما، مما جعل الأناباط تتوجه بنظرها إلى قوة روما، ولم تثبت أن تعاونت معها للقضاء على البطالمية والسلوقيين معاً⁽⁴⁾ .

و قد ظلت العلاقات طيبة بين الأناباط و الرومان ، و استمرت البتراء المحطة الرئيسية على طريق القوافل التجارية حتى تضاءلت أهميتها على أثر تحول طريق التجارة المار بغربي الجزيرة إلى العراق مما أدى إلى أن تفقد البتراء أهميتها كمركز يعتمد على التجارة الغربية، لكن الأمور لم تسير كما أرادها الأناباط، بل أخذ الرومان يحاولون احتلال بلادهم ، إلى أن نجحوا في عام 106م، في عهد الامبراطور تراجان دخول البتراء ، واحتلواها ، وسقوط البتراء انتهت دولة الأناباط.

وسيتم تناول هذه الدراسة من خلال عدة محاور ، وذلك كالتالي:-

- عرب الأناباط وازدهار دولتهم
- النشاط التجاري لعرب الأناباط وتأثيره على سياساتهم وعلاقتهم الخارجية
- الصراع النبطي الروماني ومراره
- التأثيرات السياسية والحضارية

أولاً: عرب الأناباط وازدهار دولتهم:-

ازدهرت مملكة الأناباط نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت تعتمد بشكل رئيس على التجارة، وتحتل مركزاً مرموقاً على طريق القوافل التجارية، القادمة من الجزيرة العربية إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، الأناباط شعب عربي خرج من جنوب شبه جزيرة العرب على الأرجح وكانوا أعراباً يرعون الماشية، ومنهم أصحاب قوافل تجارية، وفي القرن السادس ق.م سيطروا على أرض الآدوميين جنوب البحر الميت، واحتلوا المورخون في الموطن الأصلي للأناباط⁽⁵⁾.

وعرف عن الأناباط أنهم من سكان الصحراء ، الذين عملوا بالرعى ، و التجارة البرية، التي كانوا يعملون على حمل البضائع من جنوب الجزيرة العربية ، وتوزيعها إلى مناطق عدة، منها: منطقة الشرق الأدنى، والبحر الأبيض المتوسط⁽⁶⁾.

وأول ذكر لهذا الشعب يعود إلى عام (647 ق.م)، حيث ذكره الملك الآشوري (آشور بنبيال) في عداد خصومه، وذلك قبل أن يستوطن مدينة البتراء، عاصمة مملكته فيما بعد، وفي ذلك الزمن كان الملك (نيونيد) آخر ملوك بابل قد أخضع واحة تيماء التي كانت على طريق القوافل الواصلة بين مدينة الحجر والفرات، وكانت عاصمة نبطية قبل البتراء، ويقول الدكتور جواد علي في أصل الأناباط : وعندى أن النبط عرب بل هم أقرب الناس إلى قريش من العرب الجنوبيين فهم يشاركون قريشاً في أكثر الأصنام (دو الشراة - اللات - العرّى) وخط النبط قريب جداً من خط كتبة الوحي⁽⁷⁾. اتخذ الأناباط من مدينة البتراء عاصمة لهم، والتي ورد ذكرها في الكتابات اليونانية القديمة⁽⁸⁾. وقد عاصر الأناباط البطالمة في مصر، والسلوقيين في سوريا ، في فترة ما قبل الميلاد، والدولة الرومانية بعد الميلاد⁽⁹⁾.

مارس عرب الأناباط النشاط التجاري ، وقاموا بدور الوسطاء، وعُرِفوا بالثراء، وهذا يدل على أنهم عرفوا نوعاً من حياة الاستقرار، وأصبحوا أثرياء، وقد يكون هذا الشراء أحد الأسباب التي دعت اليونانيين إلى القيام بمحاولات لاحتلال بلاد الأناباط، الأولى أرسلها القائد اليوناني أنتيغونوس (Antigonos)، لم يتحقق فيما أتي انتصار عسكري ، والمحاولة الثانية كانت بقيادة ابنه ديمتريوس⁽¹⁰⁾.

سكن الأناباط إيدوم جنوب الأردن خلال القرن الرابع ق.م، بعد هجرة الإيذوميين لها، الذين قاموا بتأسيس مقاطعة جديدة خاصة بهم في منطقة النقب في فلسطين ، وتشير الأدلة الأثرية والتاريخية إلى ممارسة الأناباط التجارة في تلك المنطقة¹¹

وأشارت المصادر الكلاسيكية القديمة إلى عرب الأنبط، والتي من أشهرها كتابات المؤرخ اليوناني ديودور الصقلاني، وأشار في كتاباته إلى أول حملة يونانية على الأنبط⁽¹²⁾. ووصف الأنبط في كتابه بأنه بدو يسكنون الخيام، ويعتمدون في اقتصادهم على تربية الماشية، والتجارة، وأشار إلى أن الأنبط هم أقوى وأغنى القبائل البدوية التي سكنت جنوب بلاد الشام⁽¹³⁾. وما ورد في كتابه: "إنهم (الأنبط) يسكنون في العراء، ويقطنون بالصحراء كموطن لهم حيث لا يوجد فيها أنهار ولا تكثر فيها الينابيع؛ إذ يصبح من المستحيل على الجيوش الغازية لهم الحصول على المياه. إن من طبعهم أنهم لا يفلحون في الحبوب، ولا يزرعون الأشجار المثمرة، ولا يشربون الخمر، ولا يبنون البيوت... بعضهم يربى الإبل وبعضهم الآخر يربى الضأن، ويرعونها في الصحراء. وبينما هناك الكثير من القبائل العربية التي تستخدم الصحراء كمرعى إلا أن الأنبط يفوقون الآخرين بالثروة... حيث إن معظمهم قد امتهن تجارة البخور وأغلى أنواع البهارات"⁽¹⁴⁾.

ورد ذكر للأنبط في كتابات المؤرخ اليوناني زينون (Zenon)، منذ القرن الثالث قبل الميلاد (حوالي عام 259 قبل الميلاد). حيث كانت التجارة مزدهرة ورائجة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط، وعبر وادي الأردن، وشمالاً إلى مناطق حوران، ووردت إشارات للأنبط وتواجدهم في تلك المناطق⁽¹⁵⁾. وورد ذكر للأنبط في كتابات الجغرافي اليوناني ستрабو (Strabo)، الذي عاش في القرن الأول الميلادي، وأشار للأنبط في كتابين للمؤرخ يوسيفوس (Josephus)⁽¹⁶⁾.

وقد اختلف وصف الأنبط عند ديودور الصقلاني عن تلك التي رسماها ستрабو ، فالأخير قد أشار إلى أن نوع الحياة التي عاشها الأنبط ، حياة بدأوا عاشهما في الصحراء، بينما أشار ستрабو إلى أنها حياة حضرية متقدمة، بالرغم من أن ديودور معاصر لستрабو، إلا أن رواية الأول تسبق رواية الثاني بحوالي قرنين تقريباً⁽¹⁷⁾

عاشت هذه المملكة العربية في فتر غزا فيها المقدونيين المشرق بحضارتهم ، وثقافتهم ، وجنودهم، ومع ذلك استطاعت أن تحافظ على شخصيتها العربية، ووصلت إلى درجة عالية من التراء ، وذلك بفضل سيطرتها على ثروة بلاد العرب ، كتجارة البخور، والتواابل، وحافظت على سر تلك التجارة ، في الوقت الذي كان فيه البطالة، والسلوقيين يتنافسان على منطقة جنوب سوريا، وقامت لأجل ذلك بينهما عدة حروب، عرفت بالحروب السورية⁽¹⁸⁾.

يُعد التنظيم السياسي الذي وصلت إليه دولة الأنبط أحد معالم الرقي الحضارية النبطية، وعلى الرغم من قلة المعلومات التي تتحدث حول هذا الموضوع إلا أن الإشارات المتأخرة تشير بشكل واضح إلى مستوى متقدم من التنظيم السياسي ، فأول إشارة إلى ملوك الأنبط تعود إلى 169 ق.م. والتي تتحدث عن الحارث الأول الذي ذُكر في التوراة ، ولقد برع الأنبط في تقسم نموذج في الادارة السياسية حينما تحولوا من النظام القبلي إلى نظام الدولة ، مع المحافظة على الشخصية العربية المتبعة في النظام الاجتماعي التقليدي ، فقد كان الملك النبطي نموذجاً رائياً لشيخ القبيلة ، فهو كبير القوم وسيدهم ، وفي هذا السياق يذكر ستрабو بأن نظام الحكم عند الأنبط كان نظاماً ملكياً، ولكن يلاحظ أن ملوك الأنبط الذين وصفهم بأنهم كانوا يعيشون عيشة رضية ، ومزدهرة، ظلوا محتفظين بالقيم العربية ، ويخالص شيخ القبيلة ، فهو يقوم بخدمة نفسه بنفسه، وخدمة ضيوفه ، ويستقبل أبناء شعبه ، وينحهم حبه حتى أن أسموه (رحم عموم) أي الحب

لشعبه، ويقوم بتقديم كشف عن شؤونه لشعبه، وهذا يعني أنه كان يتمتع بالروح الديمقراطية ، وكان يطلق عليه (مَرَّنا) ، وذلك قياماً بواحد التعظيم⁽¹⁹⁾.

و كان للملك مجلس للشورى يستشيرونه في إدارة أمور الدولة ، وتصريف أعمالها ، كما كان للملك وزراء يساعدونه ، ويطلب من الملك تقديم تقريراً شاملاً عن أعمال الدولة يقدم إلى مجلس الشورى⁽²⁰⁾، كما وصل هذا الرقي في تنظيم الادارة السياسية الى منح المرأة الحق في الحكم فهذه شقيقة زوجة الحارث الرابع تحكم كملكة بعد موت زوجها في بداية القرن الأول ميلادي⁽²¹⁾.

لاتوجد قائمة كاملة ملوك الأنبطاط وبخاصة أولئك الذين حكموا في الفترات الأولى من تاريخ المملكة النبطية ، وأول ملك للأنبطاط في المصادر المكتوبة هو الحارث الأول والذي كان معاصر للملك السلوقي أنطيوخوس الرابع والملك بطليموس السادس "فيليوماتور" ، وتحالف مع اليهود المكابيين الذين ثاروا على السلوقيون وذلك لأسباب تجارية .

و وصلت مملكة الأنبطاط في عهد الملك الحارث الثاني، إلى درجة كبيرة من القوة والازدهار ، وتعود إلى عهده أول نقود نبطية معروفة حتى الآن. وفي عهد الملك عباده الأول (95-88ق.م)، استمرار النزاع مع المكابيين نتج عنه تنازلهم عن جلعاد ومؤاب للأنبطاط. ، ثم يحكم رب أيل الأول (88-87ق.م)؛ ولا تتوفر عن فترة حكمه القصيرة معلومات واضحة.

و بعد الحارث الثالث (87-62ق.م) من أشهر وأقوى ملوك الأنبطاط ، ولقد أوصل مملكة الأنبطاط إلى أوج مجدها وأتساعها مستغلًا الظروف المحلية والدولية، فوسع ملكته على حساب السلوقيين والمكابيين عند بداية ظهور روما على أبواب الشرق، والذين استولوا على بلاد الشام وقضوا على آمال الحارث في تكوين دولة قوية لكن خليفته عباده الثاني (62-47ق.م) اتبع سياسة سار عليها خلفاؤه من بعده قوامها التحالف والولاء للرومانيين بهدف الحفاظ على استقلال دولتهم، وحمايتها من الأخطار ، وذلك لأن الرومان أصبحوا القوة المسيطرة على الشرق بكماله ، والمحكمه في بالطرق والمنافذ التجارية ، لكن هناك العديد من التغيرات والتحولات الدولية التي حدثت في عهد مالك الأول .

وهناك اختلاف بين الباحثين حول تحديد وترتيب قوائم ملوك الأنبطاط، وسنورد نبذة موجزة عن أشهرهم. الحارث الأول: ويعود نقش الخلصة، من أقدم النقوش النبطية، والتي يعود تاريخها إلى فترة حكم الملك النبطي الحارث الأول، ويدل وجود هذا النقش في منطقة بعيدة عن العاصمة النبطية، على اتساع الرقعة الجغرافية للأنبطاط في تلك الفترة⁽²²⁾ .

و يعد الحارث الثاني من تربعوا على عرش مملكة الأنبطاط ، وأول إشارة لهذا الملك وردت عندما طلب أهالي مدينة غزة المساعدة منه ، للوقوف معهم في وجه ملك اليهود ألكسندر جانيوس (Alexander Janneus). عندما حاول السيطرة عليهم ، ويبدو أن فترة حكم هذا الملك كانت حوالي 100 قبل الميلاد، ويعتقد أن الملك الحارث الثاني، أول ملك نبطي أمر بطبع النقود. وقد اختلف المؤرخون في فترة حكمه⁽²³⁾.

خلفه عبادة الأول الذي يعتقد بأنه ابن الملك الحارث الثاني، وقد حكم بعد موت والده في عام 95/96 قبل الميلاد، واستمر حكمه لعام 84/85 قبل الميلاد. في عهده حاول الملك اليهودي الاستيلاء على عدد من مناطق

جلعاد وعمون ومؤاب، ولكن الجيش النبطي استطاع بقيادة الملك عبادة الأول من الانتصار على اليهود ، وبعد هذا الانتصار سيطر الأنباط على مناطق جلعاد وعمون ومؤاب، وامتدت سيطرتهم على مناطق حوران والجلolan⁽²⁴⁾

يعود تاريخ حكم الحارث الثالث إلى الفترة المتقدمة ما بين عام 85-84 ق.م، واتسعت حدود الأنباط زمن هذا الملك، واستطاع أن يحكم مدينة دمشق، وقد ضرب هذا الملك تقوده الخاصة به في مدينة دمشق ، وقد حققت دولة الأنباط انتصاراً كبيراً على اليهود، وانتصر على ملوكهم ألكسندر جانيوس ، واستغل الملك النبطي الصراع الذي نشأ بين أبناء الملك اليهودي لصالحه، وحقق انتصاراً كبيراً، عندما طلب أحدهم وهو ارسطوبولس (Aristobulus) المساعدة من الحارث الثالث ضد أخيه هيركانوس (Hyrcanus). وقد حاول الرومان الاستيلاء على المملكة النبطية وضمها ، ولكن باهت حماولاتهم هذه بالفشل واستطاعت المملكة النبطية أن تحافظ على استقلالها، في عهد الحارث الثالث⁽²⁵⁾.

أصبحت العلاقات النبطية مع اليهود علاقات ود و صداقة، في بداية حكم الملك مالك الأول، وقد أصبحت دولته طرفاً في الأحداث التي حدثت بعد أن أصبح القائد الروماني (انطونيوس)، مسؤولاً عن إدارة الولايات الشرقية ، والتي تطورت حتى انتهت بمعركة أكتيوم عام 31 ق.م⁽²⁶⁾، والتي فقد بعدها الأنباط بعض ممتلكاتهم، والتي لم يستعودوها إلا في فترة حكم الملك النبطي الحارث الرابع⁽²⁷⁾.

وفي عهد الملك عبادة الثاني كانت العلاقات الخارجية جيدة مع الإمبراطور الروماني أغسطس أما مع اليهود فكانت العلاقات عدائية بين الطرفين، حيث جهز هيرود الكبير ملك اليهود حملة ضد الأنباط عام 12 قبل الميلاد، وتصدى لهم الأنباط بقيادة نيكابوس (Nakebos)، والتقوى الجيشين في موقع يعرف بـ رفتا (Rhepta)، وقتل قائد الأنباط نيكابوس⁽²⁸⁾.

ويُعد حكم الملك الحارث الرابع، من أطول وأزهى الفترات في تاريخ الأنباط، واستطاع هذا الملك، الحفاظ على استقلال بلاده الواسعة، دون أن يحتك بالرومان وقد اتسعت العلاقات التجارية في عهده، ووصل الأنباط إلى ميناء اوستيا (Ostia)، المرفأ الروماني المشهور في إيطاليا الواقع قرب روما، وفي عهده ساءت العلاقات بين الأنباط والملك اليهودي انتيبياس ابن هيرود الكبير، واهتم هذا الملك بمناطق مداين صالح، جنوب المملكة النبطية ،، وتأكد ذلك مجموعة من النقوش المؤرخة التي تعود إلى فترة حكم هذا الملك، كما تعتبر معظم المباني المبنية والمنحوتة في البتراء، قد تم تدشينها في زمن الملك الحارث الرابع وزمن أسلافه. ويعتقد أن هذا الملك قد دفن في المدفن المسمى "الخزنة" ، وهذا من أهم الأدلة التي تؤكد أن جميع المباني ومنحوتات مدينة البتراء، وغيرها من المواقع النبطية، كانت قائمة قبل وصول الرومان إلى البتراء في عام 106 ميلادي .

خلف مالك الثاني أبيه الحارث الرابع، وقد تميز عهده بفترة هدوء سياسي، واقتصادي، بعكس فترات الازدهار التي اتسمت بها فترة حكم والده.

ومن الملوك الأنبطيين رب آيل الثاني ، والذي حكم تحت وصاية أبيه بسبب صغر سنه ، إلى أن توفيت عام 76 م، وبعدها تولى ابنها الملك راييل الثاني الحكم. ودخلت مملكة الأنبطيين بعد وفاته في دائرة السيطرة الرومانية وتحولت إلى مقاطعة عربية ، مركزها بصرى.

ثانياً: النشاط التجاري لعرب الأنبطيين ودوره في الصراعات الاقتصادية والسياسية :-

ما لا شك فيه أن التقدم الاقتصادي الذي شهدته دولة الأنبطيين أحد الدعائم الأساسية التي أدت إلى استمرارية ، وقوة الأنبطيين ، ولقد توافرت عدة عوامل ساهمت في هذا النهوض ، أهمها الموقع الجغرافي الذي تبنته به أنظمتهم بوقوعهم على طرق القوافل التجارية ، والقرب من مصادر الثروات الطبيعية على رأسها البحر الميت ، ومناجم النحاس في وادي عربه ، إضافة إلى ما تبنته به عرب الأنبطيين ذكاء تجاري ، وقدرة كبيرة على إدارة المعاملات التجارية ، وممارسة البيع والشراء ، والمنافسة التجارية بكل قوتها ، مما جعلهم مطمعاً للقوى الأجنبية المعاصرة ، كما أن النشاط التجاري الذي امتاز به الأنبطيين كان سبباً في إثارة الصراع الاقتصادي ، حول طرق التجارة ، مما كان سبباً في حدوث الحروب الطويلة بين الأنبطيين وعددًا من القوى السياسية ⁽²⁹⁾.

ومن الملاحظ أن بداية الأنبطيين كانت حماية القوافل التجارية ، ثم أصبحوا وكلاء محليين للتجارة ، ثم وسطاء تجاريين ، شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا تجاراً ، مسيطرين على التجارة وطرقها ، حيث كانت قوافلهم المكونة من مئات الجمال تحمل البخور والتوابيل والعطور من شواطئ عمان واليمن ومروراً بمكة والمدينة والحجر ووادي رم إلى البتار ، عاصمة القوافل ، ثم تفرع الطريق بها إلى دمشق شمالاً أو عبر النقب وسيناء غرباً لمارسة النشاط التجاري مع البطالمة في مصر ⁽³⁰⁾.

وبني الأنبطيين العديد من محطات ومدن للقوافل التجارية ، حتى يتم توفير ما تحتاجه القوافل التجارية والتجار ، من الأمان ، والراحة ، والمؤن ، والأسواق ، وذلك على طول الطرق التجارية ، ومن أهمها مداين صالح ، والبتار ، وأم الرصاص ، وأم الجمال ، وبصرى ، وعبدة في النقب وخلصه وغيرها . إضافة إلى محاولة السيطرة على بعض الموانئ الهامة مثل ميناء غزة وميناء العقبة . كما كان الأنبطيين يفرضون الضرائب على جميع القوافل التجارية التي تمر بالأراضي التابعة لهم ، وحققوا من وراء ذلك أموالاً كثيرة ⁽³¹⁾.

ويذكر بليني: أن الحراس والخدم ، وحراس الدولة ، والمقيمين ، كانوا يتتقاضون أجوراً تصل للجمل الواحد إلى (688) ديناراً ، وذلك قبل وصول القوافل التجارية إلى سواحل البحر المتوسط ⁽³²⁾.

ونتيجة لتفوق الأنبطيين وازدهار تجارة ، دخلوا في صراعات تجارية وسياسية مع اليونانيين ، والبطالمة ، والسلوقيين واليهود ، والرومانيين ، مما جعل البطالمة يبحثون عن حلفاء تجاريين ، ونجحوا في إقامة علاقات صداقة ، وتعاون تجاري مع بعض المدن التجارية الواقعة على الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية ⁽³³⁾. كما قاموا بإقامة ميناء لهم على

ساحل البحر الأحمر يخدم التجارة البحرية، هو ميناء أمبلوين، وذلك بالتعاون مع حلفاؤهم اللحبيانين، والمعينين، وفي المقابل بدأ الأناباط يسببون المتاعب للبطالمة، وذلك بالإغارة على سفنهم التجارية التي تجوب البحر الأحمر، إضافة إلى محاولاتهم للتضييق على لحيان المتحالف مع البطالمة، والتي كانت تكره الأناباط ، وبيهمها عداء، وذلك بالزحف جنوباً نحو مدينة دادان، التي أصبحت مدينة تجارية هامة، وعملوا على تحويل ميناء أمبلوين إلى ميناء نبطي، وغيروا اسمه إلى (لويفي كومي) ⁽³⁴⁾.

ولم تكن مملكة الأناباط معزولة عن العالم، فسهل لها موقعها على طرق التجارة الدولية في ذلك الوقت، الاتصال بالعالم الخارجي، عن طريق الطرق البرية مثل : طريق البخور ، وطريق جرها، وطريق البتراء ⁽³⁵⁾، إضافة إلى العديد من المراكز التجارية مثل: البتراء، صيراء، العلا ديدان، الحجر ، مدائن صالح، تيماء، دومة الجندي الجوف، أم الجمال، وبصرى ⁽³⁶⁾.

ومارس الأناباط التجارة البحرية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، بدليل ما ذكره المؤرخ هيرونيموس عن نشاط الأناباط البحري، وقيامهم بنقل بعض البضائع الشعيبة ، مثل: البخور، المر، التوابل، من جنوب شبه الجزيرة العربية ، إلى البحر الأحمر، ويصف المؤرخ نفسه الحملة التي قادها هو، للسيطرة على تجارة القطران ، وانتزاعها من الأناباط التي كانوا يمارسون تجارة ، ويسطرون عليها في البحر الميت، واستطاعوا أن يخوضوا حرب بحرية ضد الحملة وقادتها، الذين فشلوا في الصمود، واحتفظ الأناباط بتجارة القطران ⁽³⁷⁾.

وكان هناك اهتمام بالتجارة البحرية ، ما أدى إلى تصادم في المصالح التجارية بين الأناباط والبطالمة، بعد قيام البطالمة بتحويل طريق التجارة البرية التي كانت تمر بأراضي الأناباط إلى طريق البحر الأحمر ⁽³⁸⁾، وربما فعل البطالمه ذلك ليكملوا سيطرتهم على الاقتصاد البطلمي، باحتكار السلع التجارية الهامة ⁽³⁹⁾، فخسر الأناباط الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التي كانت تمر ببلادهم، حيث كان توسيع البطالمه السياسي والاقتصادي دور كبير في تعارض المصالح مع الأناباط، الذين كان لهم نشاط بحري واسع في البحر الأحمر ، ما جعل البطالمه يعمدون إلى إرسال حملات عسكرية للحد من السيطرة البحرية للبطالمة، بل القضاء عليها، وبالتالي السيطرة على تجارة البحر الأحمر، ومن هنا بدأت الضربات توجه إلى تجارة البطالمة البحرية، مما أدى إلى تدهور العلاقات السياسية ، واقتصادية بينهم ⁽⁴⁰⁾.

ومن أهم الموانئ التي كانت تحت نفوذ الأناباط: ميناء غزة على البحر المتوسط ⁽⁴¹⁾، وميناء لويفي كومه على البحر الأحمر ⁽⁴²⁾، وميناء أيلة على خليج العقبة ⁽⁴³⁾، ويعد ميناء وأكرا كوميمانلماونالبسطية التياز دهر تخلال العصر بالطلمي الروماني، ⁽⁴⁴⁾. ومن هنا نجد أن الأناباط قد سيطروا على عدد من الموانئ في البحر الأحمر، شملت الفترة ما بين القرنين الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي، ولعل مينائي لوكي كومي كومي من الموانئ التي نالت أهمية كبيرة خلال العصرين البطلمي والروماني، وبقيا بعيدين عن تدخلات القوى الكبرى، وسيطرتهم ، وحظي ميناء لوكي كومه بأهمية خاصة لقربه من العاصمة البسطية ⁴⁵

ولا شك أن سيطرة الأناباط على التجارة وطرقها ، كان سبباً في إثارة النزاعات والصراعات بين القوى السياسية في تلك الفترة ، وليس أدل على ذلك مما كتبه المؤرخ اليوناني ثيودور الصقلي (Diodorus of Sicily)

والذي حدثنا عن تجهيز اليونان لحملتين ، لإخضاع الأنباط العرب ، وهذا يعني أن الأنباط كانوا في تلك الفترة ، قوة لها وزنها الدولي ولها كيانها وسيطرتها على طرق التجارة الدولية ، آنذاك ، هذه السيطرة جعلت دولة عظمى كاليونان في ذلك الوقت تجهز حملة عسكرية لإخضاع الأنباط⁽⁴⁶⁾ ، لتسهيل وصولهم وسيطرتهم على القوافل التجارية ، القادمة من البحر الأحمر والخليج العربي ، وطرق البرية ، القادمة من الجزيرة العربية ، ومن سيناء عن طريق صحراء النقب ، والتي كانت البراءة تُعتبر مركزها الرئيس ، ومحطة بارزة للقوافل التجارية⁽⁴⁷⁾ .

و نال الأنباط شهرة واسعة ، من وراء التجارة التي برعوا فيها ، فازدادت قوتهم ، التي وظفوها في خدمة التجارة ، وبدأوا يتاجرون في : العطور ، والبخور ، والأدوية ، والملحمرات وعلى رأسها المر ، وهي من أبشع المواد الطبيعية لظهور الجروح ومعالجة الالتهابات والقروح الخارجية . ووسع الأنباط مساحة سيطرتهم فسيطروا على تجارة التوابل وبضائع أخرى كانت تُشحن من موانئ الشرق إلى الخليج العربي ، فتحملها القوافل بعد ذلك إلى الصفراء (العين في امارة أبو ظبي) ، ثم مكة ، ثم مدائن صالح (الحجر) وغيرها ، ومنها إلى أسواق سواحل البحر الأبيض المتوسط وجزره . وأتقن الأنباط التعامل به فصار مصدرًا وفيراً للدخل ، وقدم للأنباط ثروة هائلة ، ولا شك في أنها ساهمت بقدر كبير في صعود قوتهم السياسية خلال القرنين الثاني والأول ق.م⁽⁴⁸⁾ .

يقول هيرودتس "إن جنوب الجزيرة العربية كانت البلد الرئيسي التي أُنفتحت البخور والصمع"⁽⁴⁹⁾ ، وأشارت مصادر أخرى إلى أن حضرموت ، وقبيان ، وظفار ، كانت هي مصدر لإنتاج المواد الشمينة⁽⁵⁰⁾ ، وتنطلق القوافل التجارية منها ، مارة بمارب إحدى المحطات التجارية التي تمر بها القوافل ، حيث تتبع القوافل سيرها مروراً بعد من المحطات ، منها مدينة نجرن ، ثم يتفرع الطريق إلى اتجاهات ثلاثة هي: الفاو شرقاً ، وتوصل حتى تصل إلى الخليج العربي . أما الاتجاه الثاني فكان إلى الشمال نحو مدينة يثرب ، وبصل الاتجاه الثالث إلى الشمال الغربي ، ناحية مكة ، والعلا (ديدان قديمة) ، وقد كانت خلال القرن الأول قبل الميلاد التي كانت تابعة للأنباط . ويستمر الطريق من العلا إلى الحجر⁽⁵¹⁾ .

ويظهر اهتمام الأنباط بالتجارة في إنشاء سوق خاص بالتجارة ، يلتقي فيه التجار الأنباط بالتجار العرب ، وغير العرب ، يتادلون مختلف السلع ، ويعارسون عملية البيع والشراء ، لمختلف البضائع ، وكان يعقد فيه اجتماع سنوي ، يحضره العديد من التجار من كل مكان⁽⁵²⁾ . ومن الملاحظ تنوع السلع التي كان يتاجر بها الأنباط .

ولعل من أهم صور التناقض والصراع التجاري ما كان بين البطالم ، والأنباط ، والسلوقيين ، والتي أثرت على الأنباط تجاريًا ، وسياسيًا ، والذي نتج عنه تحالف نبطي سلوقي ، ضد البطالم ، في عهد الملك البطلمي "بطليموس الرابع"⁽⁵³⁾ ، والذي خاض ضدهم معركة رفح عام 217 ق.م⁽⁵⁴⁾ ، وانتصر عليهم ، وكان ذلك في فترة حكم الملك السلوقي "أنطيوخوس الثالث"⁽⁵⁵⁾ .

ومن الافت للاهتمام أن البطالم لم يهنتوا بتحالفهم مع السلوقيين ، الذين أخذت الأخطار تهددهم من الشرق ، بظهور البارثين⁽⁵⁶⁾ ، وسيطروا على طرق التجارة البحرية في الخليج العربي⁽⁵⁷⁾ ، مما جعل السلوقيين يقتصرون في تجارةهم على استخدام الطرق الغربية ، والتي كانت سبباً في وقوع العداء بين الأنباط وحلفاؤهم السلوقيين ، مما جعل الأنباط يبحثون عن حليف آخر ، للوقوف في وجه أعدائهم ، البطالم ، والسلوقيين ، فكان أن لجأوا إلى الرومان ، الذين وقفوا إلى جانبهم ،

ضد الدولة البيطلمية، بعد أن دخلت مرحلة الضعف في عهد "بطليموس الخامس" (58)، وقد قدم الأنبطاط بدور كبير في تلك الفترة، حيث وقووا إلى جانب الرومان في الحروب التي خاضوها ضد البطلة⁵⁹، بعد سقوط الدولة السلوقية على يد الرومان، وتحولها إلى ولاية رومانية عام 64ق.م (60).

ومما لاشك فيه أن سياسة المصالح قد لعبت دوراً كبيراً في إثارة التنافس التجاري والصراع السياسي، وأدارت السياسة الخارجية للأنباط، وأعدتها ، وجعلت من عدو الأمس صديق اليوم، والعكس صحيح. وأصبحت المصالح التجارية ميزاناً للعلاقات الدولية في تلك الفترة .

ثالثاً: الصراع النبطي الروماني ومراحله:-

- مرحلة تذبذب العلاقات

بعد استيلاء روما على سوريا وتحويلها إلى ولاية رومانية في عام 64ق.م، نجحت في تحويل مصر إلى ولاية رومانية في 30ق.م ، وبعدها وجدت أنها بحاجة إلى حماية الحدود الشرقية لإمبراطوريتها ، من هجمات شعوب المناطق الواقعة على الأطراف الغربية لشبه الجزيرة العربية، إضافة إلى خطر الدولة "البارثية" في إيران، العدو الشرس للرومان، استمرت محاولات الرومان في السيطرة على الطرق التجارية البرية شمال شبه الجزيرة العربية ، وتأمينها، أو السيطرة على المناطق التي تمر بها الطريق التجارية البحرية من البحر الأحمر إلى المحيط الهندي (61).

وفي إطار هذه الظروف جيئاً كانت تدور علاقات الرومان بالمجتمعات أو التكوينات السياسية في شبه الجزيرة العربية، وهي علاقات تعرضت من خلالها روما إلى ثلاثة مناطق في شبه الجزيرة هي، حسب الترتيب الزمني: اليمن أو المنطقة الجنوبية الغربية، وملكة الأنبطاط في القسم الشمالي الغربي، ثم مملكة تدمر في أقصى الشمال. وكان أول نشاط الرومان في هذا المجال هو الحملة التي أرسلها أغسطس *augustus*، أول الأباطرة الرومان، إلى

برغم من التحولات الخطيرة التي شهدتها علاقة الأنبطاط بالقوى السياسية المختلفة إلا أنهم لم يتركوا هذه التحولات المختلفة بأن تحدد مصالحهم التجارية ، ونفوذهم السياسي، وغالباً ما كانوا يدخلون في صراعات حربية مع تلك القوى ، من أجل البقاء، ولعبت سياسة التحالفات دوراً كبيراً فيبقاء الأنبطاط واستمرارهم .

ولعل الرومان من أهم القوى السياسية التي تحالف معها عرب الأنبطاط، لحماية مصالحها السياسية ، والتجارية، خلال فترة صراعها مع أعدائها ، ومنهم اليهود المكابين ، الذين حاولوا اقتحام الرومان بالتحرك ضد الأنبطاط ، والتصدي لهم ، وذلك عندما تمكّن الأنبطاط من دخول دمشق ، والسيطرة عليها، بعد انتصارهم على الدولة السلوقية، ولكن روما لم تستمع لليهود ، ولم تلتفت لمشورتهم، واكتفت روما بأخذ المال من الأنبطاط مقابل عدم التدخل في شؤونهم الداخلية، وسياساتهم الخارجية.

وقد لعبت الظروف الدولية خلال تلك المرحلة في بناء علاقات جيدة بين الجانبين تضمنت التحالف والولاء ، وذلك في عهد كل من القائدين الرومانيين "يوليوس قيصر"⁽⁶²⁾ و "أوكتافيوس"⁽⁶³⁾ ، وقد لعب الأنبطاط في عهد هذين القائدين دوراً كبيراً في ممارسة دور الحليف القوي الذي يدعم حليفه ، ويقف إلى جانبها، ومارس الأنبطاط هذا الدور في أصعب مراحل الصراع السياسي على العرش الروماني في المرحلة التي سبقت تبني نظام الحكم الإمبراطوري في إدارة الدولة الرومانية .

وإذا ما أشرنا إلى دور الأنبطاط في فترة استلام القائد الروماني : انطونيوس " ، الذي ذهب إلى مصر ، وقابل الملكة " كلوباترا " ، وأعجب بها، وأخذ يسعى لرضاهما، ولكي يرضي طمعها، طلب ريع الأموال من المناطق الشرقية للبحر الميت ، وكانت هذه المناطق تابعة لملك الأول الأنبطاط ، استجواب مالك الأول لطلب انطونيوس ، وقدم للملكة كلوباترا الأموال المطلوبة ، وبعد مضي مدة من الزمن امتنع الأنبطاط من دفع هذه الأموال للملكة كلوباترا ، ونتيجة لذلك أمر أنطونيوس الملك هيرود بمهاجمة الأنبطاط ، لكن الأحداث لم تتفق عند ذلك، حيث شاءت الأقدار أن يكون الأنبطاط أحد من نالتهم شر الحرب التي حدثت أثر معركة أكتيوم البحريه ، والتي وقعت بين القائدين الرومانيين انطونيوس وحليفته كلوباترا من جهة ، وبين أوكتافيانوس ، حيث حاول الأنبطاط أن يقفوا إلى جانب الطرف الأقوى ، خاصة بعد انتصار القائد أوكتافيانوس ، لكنه لم يكترث بمساعدتهم له ، بل قام بإعطاء اليهود بعض المناطق التابعة لملكة الأنبطاط . والتي لم يستعدوها إلا في فترة حكم الملك النبطي الحارث الرابع.

ولعل العلاقات النبطية الرومانية قد دخلت مرحلة جديدة مع بداية الاحتلال الروماني لسوريا عام 64ق.م، وكان ذلك في عهد الملك النبطي "الحارث الثالث" ، والذي بلغت الدولة النبطية في عهده أقصى اتساع لها، حيث احتل دمشق عام 80ق.م، كما تمكن نضم البقاع ، وضم بعض الأماكن السورية إلى أملاكه ، وفي عهده أغار على أطراف الدولة السلوقية ، التي انتهت بدخول القائد الروماني بومي ⁽⁶⁴⁾ سوريا، واستيلاؤه على جميع المدن السورية ، وقضى بذلك على الحكم السلوقى ⁽⁶⁵⁾ .

اصطدم القائد الروماني بالأنبطاط ، خلال وجودهم في سوريا ، وقد تفاوتت الروايات التاريخية حول ما حدث ، حيث ذهب البعض إلى أن بومي زحف نحو بلاد الأنبطاط ، وحبرها ، وغلبهم دون عناء ، وقام بوضع حامية عسكرية هناك ، وذهب آخر إلى أن بومي قد شن هجوماً ، أو حرباً على العرب والأنبطاط ⁽⁶⁶⁾ .

وعلى أية حال شعر الأنبطاط بقوة بومي القائد الروماني بعد تغلبه على دمشق ، وبخطر القوات الرومانية ، فقاموا بالخضوع لهم ، في عهد ملوكها "الحارث الثالث" ، وتعهدوا بدفع جزية سنوية للروماني ، ويتقدسم الجنود للدولة الرومانية لمساعدتها في حروبها ، وذلك في مقابل بقاء دولة الأنبطاط حرة ، ومستقلة ⁽⁶⁷⁾ .

ولعل ما فعله الحارث الثالث بدفع المال للروماني ، يدل على حكمة وبعد نظر ، وكان رغبة اكيدة في بناء علاقات حسنة بالروماني ، كما أراد إنقاذ بلاده من الوقوع تحت السيطرة الرومانية المباشرة ، ومن المختم أن يكونوا قد فعلوا ذلك ، للتخلص من أذى الرومان ، خاصة بعد احتلال الرومان جميع المدن السورية ، وإن كان الرومان يرون أن ما فعله الأنبطاط يدل على التبعية ، والانقياد لهم .

وفي الفترة التي آلت فيها الإشراف على الولايات الشرقية للقائد الروماني أنطونيوس ، كانت بلاد الأنبط تخضع لإشراف مملكة مصر آنذاك كلبيوباترة ، ولكن لم يخضعوا بصورة مباشرة لسلطة الرومانية ، وما يشير إلى ذلك عدم استئذان الأنبط الرومان في حرب اليهود في عام 9ق.م، وبحد هنا وذهب بعضهم إلى القول: بأن مملكة الأنبط قد عاشت فترة ازهار ، واستقلال في عهد الملك البطلمي "الحارث الرابع" ، عند وفاة الإمبراطور أوغسطس سنة 14م. في حين أن مملكة يهودا ، وولاية سوريا كانتا تدفعا الضرائب التي أرهقت كاهلهما⁽⁶⁸⁾ ، ولكننا بحد الحارث يلتقي بابن الإمبراطور تيبييريوس بالتبني ، وهو جرمانيكوس ، عند زيارته لسوريا ، وقدم له الملك النبطي فروض الولاء والطاعة⁽⁶⁹⁾ .

وإذا ما انتقلنا إلى مرحلة مهمة من مراحل العلاقات السياسية بين الرومان والأنبط ، بحد أنفسنا أمام تلك المرحلة السلمية التي شهدتها العلاقات بين الطرفين ، في فترة الحكم الروماني لمصر ، في عهد حكم أوغسطس ، و في زمانه كانت العلاقات الخارجية حيدة ، وقد حاول هذا الإمبراطور ضم جنوب شبه الجزيرة العربية ، المعروفة بالعربية السعيدة، إلى الإمبراطورية الرومانية وذلك في سنة 24ق.م، طمعاً في ثرواتها الغنية وفي السيطرة على طرقها التجارية ، ولم تكن هذه المحاولة الأولى التي تقوم بها القوى السياسية في ذلك الوقت ، للاستيلاء على بلاد العرب ، والسيطرة على ثرواتها ، وتأمين طرق التجارة الشرقية ، والاستيلاء على البحر الأحمر⁽⁷⁰⁾ .

وقد أمر أوغسطس القائد "اليوس غالوس" (Aelius Gallus)⁽⁷¹⁾ بتجهيز حملة عسكرية ، لغزو جنوب شبه الجزيرة العربية ، ومن هنا اتضحت ملامح العلاقات الرومانية مع الأنبط ، في الفترة التي حكم فيها الملك "عبادة الثاني" ، عندما طلب منه الإمبراطور أوغسطس أن يقف إلى جانبه في هذه الحملة ، عن طريق المساهمة في هذه الحملة ببعض الجنود ، وتقديم دليل يرافقهم ، لكي يرشدهم إلى الطرق الموصلة إلى بلاد العرب ، وربما يرجع ذلك إلى كون الأنبط يعرفون المسالك المؤدية إلى الطرق الصالحة لسير الجيوش فيها ، فكلف الملك عبادة الثاني وزير القوى "سيلايوس" (Syllaios)⁽⁷²⁾ ، مرفقة الحملة العسكرية الرومانية المتوجهة إلى بلاد العرب ، وبدأت الحملة في السير حتى وصلت إلى مملكة مدينة مأرب عاصمة سباء ، وحاصرتها ، ولكن لم تستطع الصمود ، وعادت أدراجها إلى مصر ، وفشلت الحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية⁽⁷³⁾ .

كان للحملة الرومانية على جنوب شبه الجزيرة العربية عدة نتائج ، وآثار ، ولستا هندي بصدق الحديث عنها ، ومناقشتها ، ولكننا نستطيع أن نقول بأن الرومان قد قاموا بتغيير سياستهم تجاه الأنبط ، خاصة بعد اعتقادهم بأن الوزير النبطي الذي رافق الحملة الرومانية ، كان سبباً في فشل حملتهم ، حيث ذكر سترايو: أن الأنبط قد أصبحوا في أواخر القرن الأول قبل الميلاد ، والقرن الأول الميلادي ، من رعايا الإمبراطورية الرومانية ، على الرغم من بلادهم لم تصبح ولاية رومانية من الناحية الرسمية إلا بعد ذلك بقرن وربع تقريباً، ودلل على ذلك بأن الإمبراطور الروماني "أوغسطس" ، غضب عندما اعتلى الملك النبطي الحارث الثالث" ، العرش دون أخذ إذنه ، بعد وفاة الملك "عبادة الثاني" .

- مرحلة الاصطدام وسقوط البتراء

من الملاحظ أن طبيعة العلاقات بين الأنبياط واليهود ، أثرت بشكل أو باخر على العلاقات الرومانية بكل من الطرفين، حيث حاولت روما أن تتبع سياسة التوازن ، والتي تبلورت في عدم السماح لقوة من تلك القوى بأن تقوى وتتكبر، وتصبح هي المسطرة، دون أن يكون هناك منافس لها، حتى لا تشكل تلك القوة خطراً كبيراً ، يهدد مصالح الرومان في المنطقة، وكثيراً ما كانت تحدث الحروب بين الأنبياط واليهود⁽⁷⁴⁾، وتتدخل روما حل الأمور لصالحها.

استمرت العلاقات السياسية بين الرومان والأنبياط، ولعل حدوث الاضطرابات السياسية على حدود الإمبراطورية الشرقية أجبرتها على تغيير سياستها تجاه المنطقة، ولعل كذلك العلاقات العدائية بين الأنبياط واليهود، جعلت الرومان طرفاً ثالثاً فيها ، تارة مع اليهود، وتارة أخرى مع الأنبياط، كما حدث عندما حدث صراع بين الأنبياط واليهود بعد أن تزوج هيرودس ابن هيرودس الكبير ابنة الحارث الرابع ولكنه أراد أن يطلقها ليتزوج هيروديا زوجة أخيه، ولكن قامت الحرب بين الحارث الرابع وانتيبياس، فانهزم الأخير، غير أن الرومان أرادوا الانتصار لانتيبياس ، بعد أن طلب منهم المساعدة فشرعوا في الزحف إلى البتراء ، ولكن ذلك لم يتم ، بسبب وفاة الإمبراطور تيبيسيوس في سنة 37ق.

وشهدت العلاقات النبطية الرومانية بعد وفاة الإمبراطور "أوغسطس" ، حالة من الاستقرار ، وكان للسياسة التي اتبعها الملك النبطي "حارثة الرابع" ، دور كبير في ذلك ، وحاول المحافظة على هدوء العلاقات ، حيث اتبع الدبلوماسية في سياسته تجاه أعداؤه ، فأخذ يهادن الرومان، ويظهر لهم الولاء ، والطاعة، وإرضاؤهم والتقارب إليهم بالهدايا، أما اليهود فكان التقارب منهم ، يختلف تماماً، حيث حرص الملك النبطي على تقوية العلاقات مع الملوك الهيروديين ، فدخل في علاقات مصاورة، كما مر معنا قبل ذلك . ولكن هذه العلاقات السلمية لم تستمر ، وتحولت إلى علاقات عدائية، انتهت بحدث حرب بين الطرفين، وكاد الأنبياط يدفعون الثمن بحرب الرومان لهم ، لولا تدخل القدر⁽⁷⁵⁾.

وساهمت سياسية الإمبراطور "جایوس قيصر" في تحسين العلاقات مع الأنبياط. بعد قيامه بتسليم مدينة دمشق إلى الأنبياط. بعد أن استولى عليها الرومان ، واتسمت الفترة التي حكم فيها مالك الثاني ، بالهدوء والاستقرار في العلاقات النبطية الرومانية ، ومن أهم الأحداث السياسية والعسكرية، التي حدثت في عهد الملك النبطي "مالك الثاني" ، القيام بمساعدة القائد الروماني تيبيوس (Titus)، قبل أن يصبح إمبراطوراً ، أثناء تجهيزه لحملة عسكرية لمهاجمة اليهود في عام 67 ميلادي، عندما زوده الملك النبطي بحوالي ألف من الخيالة وخمسة آلاف من المخارين المشاة و منهم رماة السهام. ولعل ما قام به الأنبياط من مساعدة في القضاء على المؤامرة اليهودية ضد الرومان، في الفترة الأخيرة من حكم الإمبراطور "نيرون" ، كان له دور كبير في توطيد دعائم العلاقات الحسنة بين الطرفين ، النبطي والروماني ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى استطاعت المملكة النبطية التخلص من خطر التهديد اليهودي للأراضيها، بانتهاء اليهود ككيان سياسي له وزن في فلسطين⁽⁷⁶⁾.

و جاء بعد مالك الثاني ولده "رب إيل" الثاني والذي حكم في الفترة (70-106م) ، ولعل ما قام به من نقل مقر الحكم من البتراء إلى مدينة بصرى ، المواجهة لأملاك الإمبراطورية الرومانية في ولاية سوريا ، وإهمال الحجر ، يعد خطأ فادح ، كلفه و كلف الأنبياط ، الشيء الكثير ، وهذا كان أحد العوامل التي أفلقت الرومان من الأنبياط. و يبدو أن الظروف السياسية بدأت تتغير بعد وفاته ، حيث استطاعت الإمبراطورية الرومانية من الاستيلاء على جميع الدوليات الصغيرة في

سوريا وفلسطين، وبدأت تعمل على التخلص من كل من يعترض طريقها للقضاء على الدولة البارثية ، ومن ثم فقد بدأ القادة الرومان يرون ضرورة الاستيلاء على كل المناطق التي كانت تفصل بينهم وبين أعدائهم، واحدة بعد الأخرى.

وقد مرت العلاقات النبطية الرومانية بفترة غموض، وعدم وضوح في الفترة الأخيرة لدولة الأنباط، في فترة

حكم الملك النبطي "رب ايل الثاني" ، وهو آخر الحكام النبطيين، ولا شك أن المنطقة الجنوبية من ولاية سوريا، كانت تشكل خطراً على استقلال الأنباط ، لأنها متاخمة لأراضيها، وهي ما يعرف بالمدن العشر⁽⁷⁷⁾ ، والتي ارتبط مصير كل منها بالآخر⁽⁷⁸⁾ .

ويبدو أن ضم الرومان لمملكة الأنباط قد تم من غير اصطدام عسكري، بين الأنباط والرومان، فتحولت مملكة الأنباط إلى ولاية يديرها حاكم روماني، وذلك عندما أمر الإمبراطور (ترagan) (98-117م)⁽⁷⁹⁾ ، نائبه في سوريا "كورنيليوس بالما" في عام 106 م بالزحف على البتراء ، وهكذا أصبحت تعرف فيما بعد باسم (المقاطعة العربية) (وقدت "بصري" عاصمة لها) . ولعلنا نستدل هنا بما أشار إليه المؤرخ "كاسيوس ديون" فقال: قام بما يخص بلاد العرب في المنطقة المحيطة بالبتراء، وجعلها خاضعة للرومان. وبسقوط البتراء بيد الرومان انتهت دولة الأنباط وأصبحت جزءاً من المقاطعة العربية التي أنشأها الرومان في الطرف الجنوبي من سوريا للحماية من هجمات بدو الجزيرة العربية⁽⁸⁰⁾ .

احتفل مجلس الشيوخ الروماني بسقوط الأنباط، حيث سكت عملية مثلت فيها بلاد العرب، وهي واقفة، وتحمل في عينها غصن زيتون، وتحت قدميها جملة "Arabia Betrea Adquistta" ، وتعني: "بلاد العرب الملحقة". وجعل سقوط البتراء على يد الرومان ، هو 12 آذار عام 160 م، وعرف بتاريخ بصري، التي غدت مقر لولاية الشرق، ومكاناً لظهور فيليب في القرن الثالث الميلادي⁽⁸¹⁾ .

ولعل سياسة التوسيع والنشاط العسكري التي اتبعها الإمبراطور (ترagan) ، في منطقة الشرق الأدنى ، للسيطرة على الطرق التجارية ، وتأمينها، كانت أحد الأسباب الرئيسية وراء اتخاذ قرار ضم مملكة الأنباط للولايات الرومانية ، حيث تم إنشاء طريق ترagan الذي يمتد من حوران حتى آيلة ، وتم حفر قناة تربط نهر النيل بالبحر الأحمر.

رابعاً: التأثيرات السياسية والحضارية:-

لم يتوقف نشاط الأنباط الاقتصادي رغم ضياع نفوذهم السياسي ، وظلوا يمارسون التجارة ، وقياده القوافل بين مصر وبلاد العرب، وموانئ البحر الأحمر، وبخاصة تلك التي تواجه السواحل المصرية ، كما تدلنا على ذلك كتابات نبطية من سيناء ومن داخل مصر ، وأخذ تجار الأنباط يبحثون عن طرق تجارية آمنة ، بعيدة عن السيطرة الرومانية ، فقاموا بإنشاء مركز تجاري لقوافلهم في مدينة تدمر ، وهذا آثر بطبيعة الحال على مدينة البتراء بسبب هجرة السكان لها ، والإقامة في المركز التجاري الجديد في تدمر ، ولم تعد البتراء سوى مركز لإقامة السكان بها ، خاصة بعد أن اخذت بيزنطة من النصرانية ديناً رسمياً لها ، وأصبحت مركزاً للدين المسيحي⁽⁸²⁾ ، وغدت البتراء حالياً مهجورة من السكان ، حتى أصابها الخراب والدمار، وبقيت منسية حتى اكتشفها بور كهاردت عام 1812 م⁽⁸³⁾ .

ومن الملاحظ أن الرومان بدأوا في إنشاء الطرق التجارية لإنعاش النشاط التجاري لهم، وأقاموا سلسلة من الحصون ، والقلاع للمراقبة ، ولحماية المناطق الحامة وضعوا كتائب رومانية لحراسة الأماكن الاستراتيجية، وتركت في عدة مواضع ، منها: أم الجمال، وبصري، وغيرها من المدن.

ان ما يراه الإنسان اليوم من البناء النبطي الذي أقامه العرب، ليعجب لذلك النموذج المعماري الذي بني بشكل هندسي فريد، أبهى العيون والعقول . شيد العرب الأنابط نماذج مختلفة من الأبنية ، تم مثلث في القصور، والأسواق والصهاريج ، وقنوات المياه، و المياكل ، والأضرحة الملكية ، والبوابات العالية، والقاعات، والمسارح ، لم نعرف عن الإنسان النبطي إلا أنه احترف العمارة والفن ، وتميز فيما ، حتى أصبح تميزه ذلك مدرسة قائمة بذاتها ، تختص بالعمارة النبطية وفن النحت. الأمر الذي جعل تلك الحضارة ذات تأثير حضاري عالمي.

و تظهر لنا الخصوصية الحضارية التي قدمها الأنابط في نموذجهم في الادارة السياسية حينما تحولوا من عقلية القبلية الى عقل الدولة ، فحافظوا على الخصائص الإيجابية في النظام الاجتماعي التقليدي وطوروها في سياق حركة غوهم الحضاري ، فقد كان الملك النبطي نموذجاً راقياً لشيخ القبيلة ، فهو كبير القوم وسيدهم ، مما وفر خصوصية في المشاركة السياسية من قبل مختلف فئات المجتمع ندر وجودها في المجتمعات القديمة ، تشكل نواة أولى للنظام الديمقراطي.

و امتد النفوذ الحضاري للأنابط بفعل سيطرتهم على التجارة على مساحات شاسعة من العالم القديم ، حيث أكدت المسوح الأثرية وجوداً نبطياً في أكثر من موقع في مصر وجنوب إيطاليا وجزر البحر المتوسط وشرق الجزيرة العربية جنوبها.

وستبقى القيمة الحضارية (المعمارية) لمدينة البتراء وستظل متفردة بالإبداع التراثي والحضاري في الزمان والمكان، حتى أصبحت العمارة والنحت النبطي موضع اهتمام للكليات هندسة العمارة والفنون في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي ، فطلت القيمة المعمارية والحضارية للبتراء وانتشرت اصداء تلك القيمة في العالم .

الخاتمة:-

بدأ الأنابط حماة للقوافل التجارية ، ثم وكلاء محليين للتجارة ، ثم وسطاء في التجارة ، إلى أن أصبحوا أصحاب تجارة وسيطروا على الطرق التجارية في العالم ، حيث كانت قوافلهم المكونة من مئات الجمال تحمل البخور والتواابل والعطور من شواطئ عُمان واليمن ومروراً بمكة والمدينة والحجر ووادي رم إلى البتراء (الرقيم) عاصمة القوافل ، ثم تفرع الطريق بها إلى دمشق شمالاً أو عبر النقب وسيناء غرباً للتجارة مع المصريين .

وبني الأنابط العديد من محطات ومدن للقوافل توفر الأمن والراحة والمؤن والأسواق على طول الخطوط التجارية ومن أهمها مدائن صالح ووادي رم والبتراء وأم الرصاص وأم الجمال وبصري وعبدة في النقب وخلصه وغيرها . بالإضافة إلى سيطرتهم على بعض الموانئ الهاامة لتجارتهم مثل ميناء غزة وميناء العقبة .

ومن الملاحظ أن التفوق التجاري لمملكة الأنبياط كان سبباً رئيساً في تعرضها لأطماع القوى السياسية التي كانت تعاصرها، فكان هناك صراعات سياسية واقتصادية متعددة، من أجل السيطرة على التجارة وطرقها، فدخلت في صراع مع اليهود، والبطالمة، والسلوقيين، ومن ثم الرومان، بسب ذلك.

تأثرت البتراء بحكم موقعها الجغرافي بالعديد من الحضارات ، مثل الحضارة المصرية، والحضارة اليونانية، كما كان موقعها الجغرافي سبباً في دخولها في صراعات مستمرة، مع القوى السياسية المعاصرة لها، وقامت تلك القوى بمحاولات عديدة للسيطرة على مملكة الأنباط، ومن أبرز تلك القوى السياسية الرومان الذين حاولوا أكثر من مرة الاستيلاء على البتراء، والسيطرة عليها ، والقضاء على استقلالها، لكن الملوك الأنباط لم يمكّنوه من تحقيق هدفهم ، حيفاً فضل الأنباط شراء استقلال بلادهم بمال، الذي كان يدفع للرومانيين، مقابل احتفاظهم ببلادهم، وظهر ذلك واضحاً من خلال الصورة التي ظهر فيها الملك النبطي الحارث الثالث ممسكاً جمالاً بيده، وجاثياً على احدى ركبتيه، وماداً سعف النخل، وهذا يظهر قوة النفوذ السياسي الروماني، حتى تمكن الرومان من دخول البتراء ، وتحويلها إلى ولاية رومانية، وأطلقوا عليها المقاطعة العربية، في عام (106م) على يد الإمبراطور تراجان، وبذلك زوال حكم الأنباط.

دام الاحتلال الروماني في بعض المواقع حوالي أربعة قرون، وكانت جرش إحدى أهم مدن المقاطعات الرومانية وقد زارها الإمبراطور هادريان، وبعد انتهاء حكم الأنبياط قام الرومان بإعادة إنشاء ما سمي بطريق تراجان الجديد، وتم بناء الحصون وأبراج المراقبة على طول الطريق، بينما جرى بناء الشوارع والأعمدة والمسارح في عمان وجرش وأم قيس، ولقد فرض الرومان اللغة اللاتينية على يد السكان المحليين.

ومن الملاحظ أن السيطرة الرومانية لم تشمل كل المناطق التابعة للأنباط، حيث احتفظت منطقة الحجر والأماكن النبطية القرية منها بسيادتها، واقتصرت السيطرة الرومانية على العاصمة النبطية البتراء، وبصرى وبعض الأماكن في المنطقة الشمالية والتي كانت مراكز تابعة للأنباط.

الإحالات والمصادر والمراجع

(1) أقام عرب الأنباط دولتهم في بادية الشام، واتسعت حتى وصلت بنفوذها إلى شمال الحجاز، وقد اتخذت من البتراء حاضرة لها، ظهرت بشكل واضح كثافة لا يُستهان بها حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، Kennedy, A.D.W., *Petra, its History and The monaments*, (London, 1925) p.3.

أما الكلمة (نبط) فقد اختلف العلماء في تعليلها، فمنهم من ردها إلى (نبيط) و(نبأبوت)، وهو الابن البكر لاسماعيل بن إبراهيم الخليل من زوجته هاجر أو لكترة النبط عندهم وهو الماء.

(2) هو ابن بطليموس الأول من زوجته الثالثة، تولى العرش بعد وفاة والده، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، كان ميلاده إلى التوفى، وحب الله، شجع الثقافة والعلم، عرف بلقب فيلادفوس، وبعد عهده من أزهى عهود مصر البطلمية، واكتملت في عهده معظم النظم الإدارية، وأصبحت مدينة الإسكندرية في عهده من أهم مدن العالم في ذلك الوقت، اصطدم بالدولة السلوقية، وقادها ضدتها حربين، عرفتا بالحرب السورانية الأولى، والثانية. **Walter M.Ellis.; Ptolemy of Egypt.** London.New York.p.

⁽³⁾ أنظري ، إبراهيم ، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج 2، (القاهرة، مكتبة الاتجاه المصري، 1976م) ، ص 124 ، بحثي ، لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة ، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت) ، ص 423. يوسف ، "فوج الله" ، طرق التجارة في الجزيرة العربية قبل الاسلام" ، الفيصل ، الرياض ، (2003م) ، ص 81.

⁽⁴⁾ العلي ، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج 1 ، ط 6 ، (بغداد ، مكتبة المثنى ، 1954) ، ص 40.

(5) أنظر في ذلك : مهران ، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، (القاهرة ، دار المعرفة ، 1989م)، ص494-496.

(6) العبد الجبار، عبدالله عبد الرحمن، "تجارة الأنابط البحرية بين القرنين الرابع قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي" ، المجلة الأردنية للتاريخ

والأثار، م 5، ع 3، (2011م)، ص 1.

(7) علي، حواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج 3 ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1968م)، ص 11.

(8) تعرف البتراء في المصادر العربية باسم الرقيم. الحموي ، ياقوت (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، ج 2 ، (بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1979م)، ص 60. البتراء أو البتراء مدينة أثرية وتاريخية تقع في محافظة معان في جنوب المملكة الأردنية الهاشمية. تشتهر بعمارها المنشوطة بالصخور ونظام قنوات حر المياه القديمة، أطلق عليها قديماً اسم "سلع" ، كما سُميت بـ "المدينة الوردية" نسبة لأنواع صخورها الملتوية.

(9) نصحي ، تاريخ مصر ، ص 45. العبادي، مصطفى، مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985م)، ص 28-44.

(10) كانت هناك محاولتين من قبل اليونان على بلاد الأنابط ، الأولى كانت في عهد انتيغونوس (Antigonus)، بقيادة أحد ضباطه، وصديقه المدعو أثينوس (Athanaeus)، وكانت الحملة مزودة بحوالي ستة آلاف من الخيالة وحوالي أربعة آلاف من المشاة، وقد هاجمت الحملة مدينة البتراء عاصمة الأنابط ليلاً، مستغلين عامل المفاجأة وكذلك حلو البتراء من الرجال (حيث يعتقد أن الأنابط كانوا متوجهين لاستقبال إحدى القوافل التجارية)، وقام رجال الحملة العسكرية بنهب الفضة والأموال والمر والبخور، وعندما علم الأنابط بذلك استطاعوا اللحاق بالحملة العسكرية اليونانية، التي كانت مخيبة في مناطق بعيدة عن البتراء، وانتصر الأنابط، وبذلك فشلت الحملة اليونانية، أما الحملة الثانية فقد كانت بقيادة ديمتريوس (Demetrius) ، وكان قوامها أربعة آلاف من المشاة، ومثلهم من الخيالة، ولما عرف الأنابط بقدوم هذا الجيش سارعوا إلى إرسال مواشיהם إلى الصحراء واستحکموا داخل مدينة البتراء، وعندما وصل ديمتريوس أمام الصخرة الشاهقة، لم يستطع أن يهاجم الأنابط المتمرسين داخل هذا الجبل الشاهق، وعندما حاول اليونان القتال، واجهوا مجموعة من الصعاب فانسحبوا، وبالتالي فشلت هذه الحملة. صالح عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة ، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988م)، ص 146.

(11) الطوسي ، سعد، ومحمد النصرات، "الظروف التاريخية والأدلة الأثرية لفترة دخول الأنابط إلى جنوب الأردن 539 ق.م - 106 م" ، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م 4 ، العدد 2، (2010 م) ، ص 109.

(12) Diodorus Siculus (1956 edition). **The Library of History**, vol. 10, Books XIX.66-110

and XX. With an English Translation by M. Gee. London: Heineman. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press., 19, 89.

(13) Diodorus, **The Library of History** .94.4-5.

(14) Diodorus, **The Library of History** .94.2-5.

(15) Graf, D., The Origins of the Nabataeans, *ARAM* 2, 1990.Pp.53-54.

(16) Starbo, Geography, XVI, 4, 26. Tarrier, D., Les triclinia nabatéens dans la perspective des installations de banquet du Proche-Orient, Thèse de Doctorat, Paris I-Panthéon- Sorbonne, 1988.Pp.168-169

(17) عاش ديودور ما بين (80-21ق.م) ، أما استرابو فعاش في الفترة (54ق.م- 25ق.م).

(18) هذه الحروب انتهت بانصار السلوقيين، وتم طرد البطالمة من سوريا ، وآسيا الصغرى في عام (198-197ق.م). نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج 3، ص 51.

(19) نافع ، محمد مبروك ، تاريخ العرب لعصر ما قبل الإسلام ، (القاهرة ، د.ن ، 1952م)

- (20) صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، ص 149.
- (21) علي المفصل في تاريخ العرب، ج 2، ص 542.
- (22) مهران ، محمد يومي، دراسات في تاريخ العرب القديم ، (القاهرة ، دار المعرفة ، 1989م)، ص 507.
- (23) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 26.
- (24) حني ، فيليب ، تاريخ العرب ، ج 1 ، (بيروت ، د.ن ، 1958م) ، ص 419.
- (25) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 30-33.
- (26) معرفة تفاصيل هذه المعركة أنظر: نصحي، تاريخ مصر في عصر البطالمة، ج 1، ص 366-369.
- (27) علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 35-36. حني، تاريخ العرب، ص 311-312.
- (28) Starbo, **Geography**, p.4, 23-24.
- (29) عطيوى ، فرحة هادي، "العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الأناباط والبطالمة" ، مجلة الفتح، ع 30، (2007م)، ص 132.
- (30) عبد العليم، مصطفى ، "جارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني" ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، في الكتاب الثاني من الجزيرة العربية قبل الاسلام، (الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م)، ص 102.
- (31) فخرى، أحمد، اتجاهات حديثة في دراسة الأناباط، (عمان، دائرة الآثار العامة، 1972م)، ص 6. علي، المفصل في تاريخ العرب، ج 3، ص 39.
- (32) Pliny, **Natural History**, 6, London, 1954. . P.19-20
- (33) حرص البطالمة على اقامة تحالف تجاري مع مدينة (معان) ، وهي مدينة ديدان، والتي تقع إلى جنوب الأناباط ، والتي أصبحت تنظر للأناباط كمنافس تجاري قوي، كما حاولوا التوجه إلى اللحيانيين ، الذين ظهروا شمال الحجاز ، وجنوب بلاد الأناباط. عطيوى، "العلاقات الاقتصادية والسياسية" ، ص 133.
- (34) Starbo, **Geography**, p.4,24
- (35) لمزيد من المعلومات حول الطرق التجارية في مملكة الأناباط أنظر: الصلاعين، مروان عاطف، الطرق التجارية في مملكة الأناباط
- (36) الصلاعين، الطرق التجارية في مملكة الأناباط، ص 157-162.
- (37) أنظر: العبد الجبار، "جارة الأناباط البحرية" ، ص 3.
- (38) Zeyad al-Salameen, *The Nabataean Economy in the light of Archaeological Evidence*, PhD Dissertation University of Manchester 2004, p. 56.
- (39) عبد العليم، مصطفى كمال، "جارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية خلال العصرين اليوناني والروماني" ، في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ط 1، ج 1، (جامعة الملك سعود، 1984م)، ص 20.
- (40) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص 423. الصلاعين، الطرق التجارية في مملكة الأناباط، ص 162-164.
- (41) تأتي أهمية ميناء غزة من كونه مركزاً تجارياً هاماً على طريق القوافل التجارية التي تأتي من جنوب شبه الجزيرة العربية ، ثم تقوم القوافل بنقل البضائع من ميناء غزة إلى الأسواق العربية ، وغيرها. موسى، شمال الحجاز، ترجمة: عبد الحسن الحسيني، (الاسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، 1988م)، ص 116-118.
- (42) يتميز هذا الميناء بأنه معبر أساسى لدخول شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى كبر مساحته، وأشار إليه استرابو عندما تحدث عن الحملة الرومانية على بلاد العرب. وبعد مرکزاً تجارياً هاماً، وهناك طريق تتفرع منه إلى البتراء ، عاصمة الأناباط.
- (43) يقع هذا الميناء على ساحل البحر الأحمر، وبعد مرکزاً تجارياً جيداً لخلوه من الجزر المرجانية، وتتفرع منه عدة طرق تجارية هامة.
- أنظر : عباس، احسان، تاريخ دولة الأناباط، ط 1، (عمان-الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1987م)، ص 33.
- (44) اختلف الباحثون في تحديد موقع الميناء، ولكن التنقيب الأثري أثبت وقوع ميناء أكبراً كومي في مرسى المريسي بالقرب من مصب وادي الحمض على بعد حوالي ٤ كيلومترًا جنوب ميناء الوجه، وموقعه هذا يجعله قريباً من مدينة الحجر، غير أنه على عدد من الآثار النبطية التي

يعود تاريخها إلى القرن الأول قبل الميلاد. الغبان، علي إبراهيم، معطيات أثرية جديدة حول تحقيق موقع مينائي أكراكومي ولوكي كومي ومستوطنة أميلوني في ساحل البحر الأحمر بالملكة العربية السعودية، "الندوة العالمية لعلاقات الجغرافيا العربية بالعالمين اليوني والبيزنطي،

٢٠١٠ م. ٩-٦ الرياض ٢٠١٠/١٢/٩.

(45) العبد الجبار، عبدالله عبد الرحمن، "تجارة الأنابات البحرية ، ص 13 .

(46) هاردنج، لا نكستر، آثار الأردن، ترجمة: سليمان موسى، ط 1(الأردن، منشورات اللجنة الأردنية للترجمة والنشر، ١٩٦٥م)، ص 40.

(47) كانت البتراء من أهم المطارات التجارية للقوافل، التي كانت تأتي إليها، فيستريح بها أهل الجمال، ويبيرون بها عدة أيام، ويسلدون حاجتهم من المون لهم ولخيوناتهم ، والجمال، و وساعدوها وقوعها بين محطات هامة على جعلها من كراً هاماً لتوزيع البضائع، واعادة تصديرها لأناء مختلفة من العالم لكونها تقع بين وادي الرافدين، والخليج العربي، والبحر الأحمر، واليمن، ومن هنا استفاد سكان البتراء من التبادل، وخدمة القوافل التجارية، التي تمر بالبتراء. Kammerer, A. (1929), Pétra et la Nabatene. Librairie Orientaliste Paul Geuthner Paris.p.33 .

(48) Klaas Dijkstra, Life and Loyalty: A Study in the Socio-Religious Culture of Syria and Mesopotamia in the Graeco-Roman Period Based on Epigraphical Evidence, (Brill 1995), p. 298

(49) Herodotus (1959), *The Histories*. Translated by de Selincourt, A. Penguin Books Ltd., Middlesex.p.75.

(50) Strabo, The Geography, p.19.

(51) al-Ansary, A. (1982), *Qaryat al-Faw: A Portrait of Pre-Islamic Civilization in Saudi Arabia*. Riyadh University, Riyadh.p.22-29.

(52) Diodorus, C., *Diodorus Historiae, The Library of History*, London,LCL, 1961. 12 Vols ,p .95.

(53) تولى بطليموس الرابع العرش وهو في الثانية والعشرين، حمل لقب فيلوباتور، حكم في الفترة من 221-205ق.م، يعد عهده بداية لمرحلة الضعف والتدهور للدولة البطلمية، كان ذا شخصية ضعيفة، سيطر عليه بعض رجال القصر البطلمي، في عهده حدثت معركة رفح ، عام 217ق.م، وهي من سلسلة الحروب السورية، بين البطالمة والسلوقيين. للمزيد حول بطليموس الرابع انظر: فرح، أبو اليسر، تاريخ الشرق ادن في العصر الهمجي والروماني، (د.م، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، د.ت)، ص 61-65.

(54) تعرف بالحرب السورية الرابعة ، وتعد نقطة تحول خطيرة في تاريخ البطالمة، فبعد هذه المعركة ساءت أحوال البر الداخلي، وفقدت الدولة البطلمية هيئتها، وسيطروا على جميع أملاكها في الخارج، وقد أظهر الجنود المصريين في هذه المعركة مهارة قتالية عالية، وأثبتوا مقدرتهم على القتال، فقاموا بعدة ثورات بعد معركة رفح ، يطالبون فيها بحقوقهم السياسية، والاجتماعية.

(55) اعلن أنطيوخوس الثالث العرش في سنة 223ق.م و كان يبلغ من العمر عشرون عاماً، عرف بالأكبر، كما أطلق على عصره عصر الصحوة، تميز بقوة الشخصية، وبالطيبة، في عهده بدأ أول صدام عسكري للدولة السلوقية مع روما،

(56) البارثيون أو الفرسون Parthians من الشعوب الإيرانية، استقروا في منطقة بارثية Parthia في الجزء الشرقي من إيران، وتمكنوا من التخلص من السيطرة السلوقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وازدهرت عقب انهاء السيطرة السلوقية في أواسط آسيا، منذ القرن الثاني قبل الميلاد، قاموا بحملات نحو الغرب ، وتمكنوا من احتلال إقاطعية ميدية، وأجزاء من بلاد الرافدين، واحتلوها عام 141ق.م مدينة سلوقيا دجلة، بزعامة قائد هميترادس الأول (171-138ق.م). كان الرومان من ألد أعدائهم، وجرت بينهم عدة معارك حربية ، تخللتها معاهدات سلام، للمزيد من المعلومات انظر: الناصري، سيد، مصر والشرق الأدن في العصر الهمجي، (القاهرة، د.ن، 1992م)، ص 264، Assar, G.R.F., "Genealogy & Coinage of the Early Parthian Rulers. I", Parthica, 6, 2004

(57) سالم ، سيد، دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج 1، (الاسكندرية، د.ن، 1997م)، ص 160.

(58) يعد خامس حكام البطالمة، اعتلى العرش وهو ما يزال طفلاً في السابعة من عمره، لذلك تولى الوصاية عليه سوبسيوس وهو أحد رجال البلاط الملكي البطلמי ، في نهاية عهده قامت ثورة في مدينة طيبة .

(59) من صور ذلك : وقوف الأنباط إلى جانب الرومان ، عندما حدث حرب الاسكندرية سنة 48ق.م، بين القائد الروماني بوليوس قيسار" وأهالي مدين الإسكندرية ، كما قاموا بحرق الأسطول البطلمي عام 30ق.م، عندما قام الرومان بحملتهم الشهيرة على جنوب شبه الجزيرة العربية، وقف الأنباط معهم ، في عهد الملك النبطي عبادة الثالث" ، الذي جعل وزيره صالح دليلاً لهم عبر الصحراء. للمزيد انظر: حتي، تاريخ العرب، ص 60.

(60) يوسف، طرق التجارة، ص 81.

(61) يحيى، العرب في العصور القديمة، ص 9-8

(62) ينتهي بوليوس قيسار إلى أسرة رومانية ذات شرف، يرجع نسبها إلى الالهة فينوس، كان يميل إلى العامة منذ شبابه، تميز بالطموح والقدرة، وتولى مناصب سياسة كبيرة، وتمتع بسلطات سياسية وعسكرية وكان على عداء مع مجلس السناتور. فقامت بينه وبين السناتور يومي حرب أهلية، استطاع خلالها أن يتغلب هو وأنصاره على حصوه. للمزيد انظر: نصحي، تاريخ مصر، ص 690-716.

(63) هو حفيد أخت بوليوس قيسار، الذي ورثه وخلفه، كان يبلغ الثامنة عشر عندما توفي بوليوس قيسار ، تلقى تدريياته العسكرية، ودخل من العلم في بلاد اليونان، قدم إلى روما بعد مصرع بوليوس قيسار، وأخذ يطالب بحقوقه السياسية في الحكم. أنظر : العبادي، مصطفى، الامبراطورية الرومانية، النظام الامبراطوري ومصر الرومانية، (بيروت، د.ن، 1981م)، ص 71-72، الروبي، آمال، مصر في عصر الرومان، دراسة سياسية اقتصادية اجتماعية في ضوء الوثائق التاريخية 284-302م، (القاهرة، د.ن، 1984م)، ص 35-36.

(64) يعد من أشهر القادة الرومان ، والذي سطع بحمله كقائد في جيش سولا ، وقام بدور كبير في القضاء على الاضطرابات التي قامت في إفريقيا، وجزيرة صقلية، منحه مجلس السناتور سلطة البروقنصلية، ومنحه سولا لقب الأكبر، حكم إسبانيا مدة خمس سنوات، تميز بالبراعة العسكرية ، والكفاءة السياسية. للمزيد حول يومي انظر: نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان منذ أقدم المصور حتى عام 44ق.م، ح 2، (القاهرة، د.ن، د.ت)، ص 395-334.

(65) كانت الأوضاع في سوريا قد مهدت لدخول يومي سوريا، بسبب كثرة الصراعات فيها، وكان آخر حكام الدولة السلوقية هو أنطيوخس الثالث عشر، الذي عرف بالضعف، وقد حاول أن يتمسك بالعرش، لكن يومي وروما قرروا أن يحكموا سلطة يومي على سوريا، لضعف الدولة السلوقية، فقرروا تحويلها إلى ولاية رومانية عام 64ق.م، وانتهت بذلك الدولة السلوقية ، منذ أن أعلن يومي سوريا ولاية رومانية، وقد عمل يومي جاهداً على تنظيم أوضاع سوريا ، من خلال التنظيمات التي وضعها. للمزيد من التفصيات انظر: نصحي، تاريخ الرومان، ص 288-289

Car, M., A History of Rome, London, 1988. P.256. 289

(66) عباس، تاريخ دولة الأنباط، ص 44-45.

(67) Murray, M.A., Petra, The Rock City of Edom , (London, 1936). P. 103.

(68) Tacitus, The History. tr. Clifford H. L.C.L. 1968. Ann.II 42.7.

(69) Tacitus. Ann.II 42.57.

(70) لقد سبق وأن بذل البطالمة جهوداً كبيرة لمحاولة السيطرة على الطرق التجارية الشرقية، في بلاد العرب، في عهد الحاكم البطلمي " بطليموس الثاني" ، الذي أنشأ موانئ بطممية على هذا البحر.

(71) كان ثاني الولاية الرومان على مصر، وحكمها بين عامي 24-26ق.م، ومن أهم الأحداث في عهده هي الحملة الرومانية المشهورة على بلاد العرب. يحيى، تاريخ العرب، ص 424-429.

(72) الوزير النبطي صالح أشهر وزراء مملكة الأباطرة وأكثرهم دهاءً ، لا يُعرف عنه كثير من المعلومات سوى ما جاء في المصادر التاريخية من معلومات، توضح علاقته الجيدة بالرومان، سطع نجمه في المصادر الرومانية، ولقب بلقب (أحji الملك)، أي العضد الأيمن، أو اليد اليمنى للملك النبطي، أُعدم في روما عام 6 ق.م. للمزيد أنظر: السلاطين، "زياد، العلاقات النبطية الخارجية: دراسة في ضوء المصادر التاريخية والشواهد الأثرية"، الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، سلسلة الأعمال العلمية المحكمة في التاريخ والحضارة. 1434 ، ص: 57 - 8. و العادي، صبرى، 1997 " نقش صفوى حديث يؤرخ إلى الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد " ، أبحاث اليرموك، العدد (3)، المجلد (13)، ص 151 - 141

(73) Starbo, **Geography**, p.4, 23-24.

(74) من أمثلة ذلك تنازع اليهود والأباطاط على المناطق الحدودية بينهما ، وذكر لنا المؤرخ يوسيفوس حدوث نزاع عسكري بين ملوك الأباطاط ، والملك اليهودي المكابي يناسوس.

(75) لا نكستر، هاردنج، آثار الأردن، ترجمة: سليمان موسى، (عمان، منشورات اللجنة الأردنية للترجمة والنشر، 1956)، ص 124.

(76) انظر: حي، تاريخ العرب ، ج 1، ص 423.

(77) يقع أغلبها في شرق الأردن، بين عمان وجرش ، وأم قيس ، وطبقة فحل ، وبيت رأس وفيق ، وقوتات ، سوى بيسان تقع في الضفة الغربية من النهر ، كانت تسعى لمحاجمة كل من يعتدي على المصاطل الرومانية، واتارة القلاقل، قال عنها المؤرخ "سيث" إن هذه المدن قد شكلت خط دفاع كبير ضد العناصر العربية، واليهودية، التي كانت تود زحرة النهر الروماني عن رقابها....".

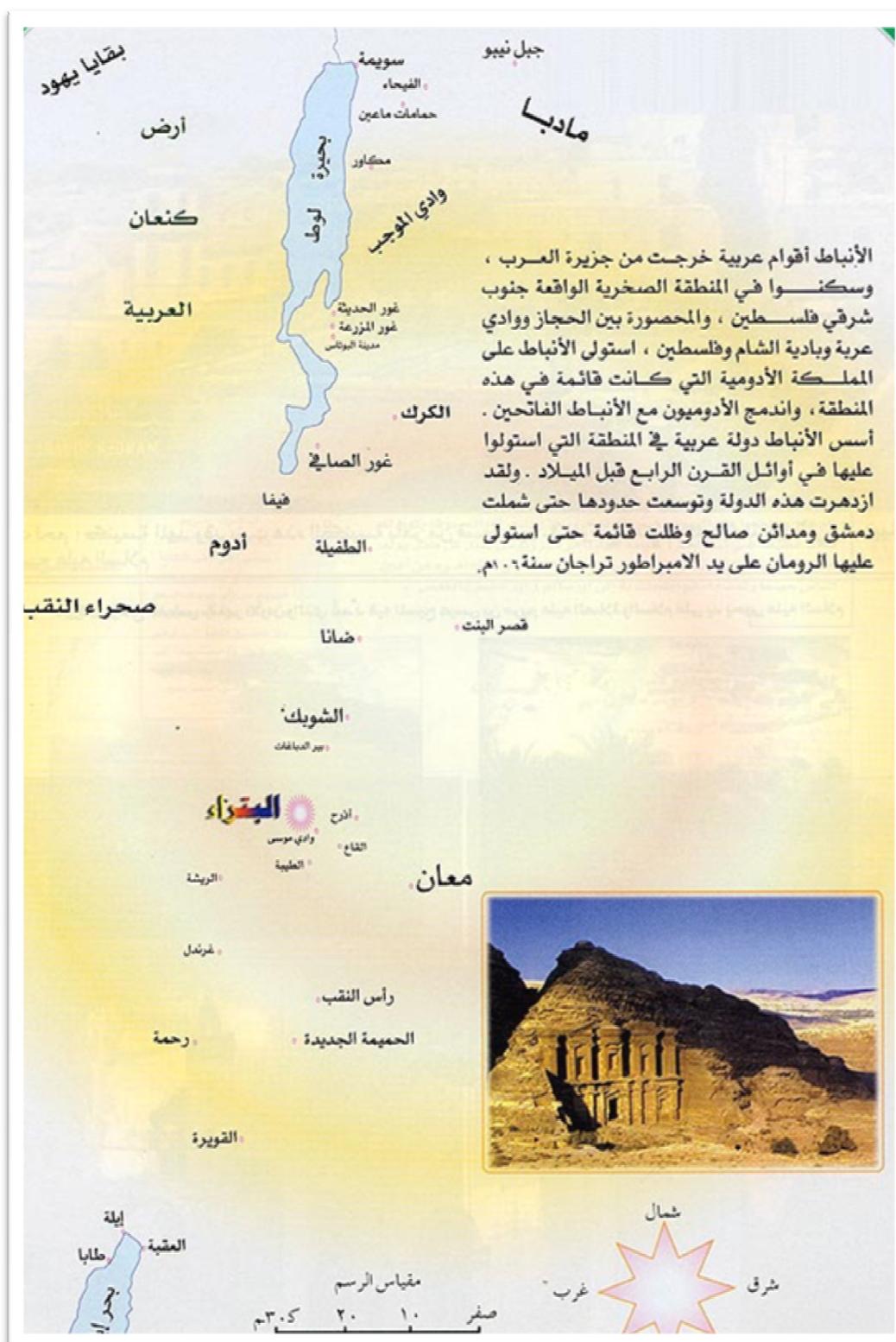
(78) Millar, Fergus, The Roman Near East.31 B.C. – A.D. 337. 2d. ed. Harvard. 1994.p.92.

(79) الإمبراطور تراجان هو: ماركوس أليبيوس نيرفا تراينوس أغسطس ، ثان الأباطرة الأنطونيين الرومان ، و الإمبراطور الروماني الثالث عشر ، وبلغت بالإمبراطورية الرومانية أوج اتساعها في عهده، ولد في مدينة بيتليكا ، ارتفى في صفوف الجيش الروماني كان والد تراجان حاكم Syria - سوريا (في 76-77) ، وتم تعيينه القنصل ، شارك تراجان الإمبراطور دوميتيان في الحرب ، وخلف دوميتيان نيرفا، الذي كان غير مرغوب فيه من الجيش، عندما توفي نيرفا خليفة دوميتيانوس تولى الحكم الإمبراطور تراجان يوم 27 كانون الثاني / يناير و 98 ، باحترام كبير دون حوادث.

(80) صالح ، تاريخ شبه الجزيرة العربية ، ص 149.

(81) صليبا، منصور، الطرق والقلاع، من آثار الرومان في بلادنا ، ص 88.

(82) Gibbon,E., The Decline and fall of the Roman Empire, London, 1950. P. 214. (83) ملحس، لطفي ، "البراء" ، الدفع (القوات المسلحة السعودية) ، السعودية ، مع 23 ، ع 56، (1984): ص. 97 - 98.





الطرق التجارية النبطية القديمة.



خريطة الإمبراطورية الرومانية تحت حكم [الإمبراطور هادrian](#) (حكمت من 117-138)، تظهر موقع العرب الأنباط في الماطق الصحراوي حول مقاطعة [البتراء الرومانية](#)



مبني الحكمة أو قبر الحرة بالبتراء



اتساع رقعة المملكة النبطية



صورة جوية لوسط مدينة البتراء الصورة التقطت عام 1980

